مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة

العدد التاسع

1992 م.

رواد علم الأدوية المفردة في الطب الإسلامي(*)

تأليف الدكتورة آيتان الطينتاش
ترجمة الدكتور عبدالكريم أبوشويرب
كلية الطب - الجماهيرية العظمى

ملخص:

خطا علم الأدوية في العالم الإسلامي خطوات عظيمة خلال القرون الوسطى، وبدراسة الكتب التي أُلفت حول الأدوية المفردة والتي تكوِّن أساس علم الأدوية يتضح لنا جلياً أهمية تلك الخطوات والإضافات في هذا المجال.

وفي هذا البحث حاولت أن أجمع معلومات حول المؤلفين والمؤلفات في مجال الأدوية المفردة وذلك بما يفيد الباحثين في هذا الموضوع.

نُدرك بصفة عامة من هذا البحث أن للعديد من علماء الإسلام إضافات علمية مهمة، ونذكر منهم: الدينوري وابن الرومية والإدريسي والسوري وابن

(*) عن مجلة (دراسات في تاريخ الطب) مجلد 3 ص 62 ـ 73 ـ 1989.
«History of Medicine Studies» Journal Vo.3 p.62 - 73.

البيطار والأنطاكي، هذا بالإضافة إلى العلماء الذين لهم مؤلفات مشهورة في هذا المضمار ومنهم ابن سينا والرازي وعلي بن العباس، كل هؤلاء أَثْرَوْا الحضارة الإسلامية بما أضافوه من ابتكارات وآراء علمية دقيقة، كان لها أكبر الأثر في تطور علم الأدوية وتقدمه إلى الدرجة التي وصل إليها اليوم.

يتكون أساس الطب القديم من مجموعة من المواد البسيطة التي نطلق عليها الأدوية المفردة، ومعظمها من أصل نباتي، وقسم قليل منها من أصل حيواني أو معدني.

وكان يستوجب على الأطباء معرفة تأثير هذه المواد على جسم الإنسان معرفة جيدة، ولهذا السبب فإنه منذ حقبات التاريخ الأولى نصادف العديد من الباحثين والمؤلفات في هذا الموضوع. وفي القرون الوسطى خلال عصور النهضة الإسلامية أضاف علماء الإسلام إلى ما وصلت إليه الحضارات التي سبقتهم إضافات مهمة.

ولدراسة ما أضافه العثمانيون في مجال العلاج والدواء لا بد من الاطلاع على ما وصل لدينا من أعمال أطباء الإسلام الأوائل وكتبهم في هذا المجال. ولذا اتخذنا من هذه الكتب أو المخطوطات أساساً لدراستنا، وأضفنا إلى ذلك حكماء الإغريق الذين درسوا علم الأدوية، وحاولنا أن نكتب بإيجاز حول المؤلفين والمؤلفات في موضوعنا، وقد أفردنا ملخصاً لترجمة حياة المؤلفين وذلك حسب التسلسل الزمني لهم، كما حاولنا التعريف بأهم الكتب حول الأدوية المفردة.

1 ـ العصر اليوناني:

1 ـ 1 ـ ثيوفراستوس أريسوس:

ولد بجزيرة ميديلّي سنة 372 ق.م. وتوفي سنة 285 ق.م. ويعرف بأنه مؤسس علم النبات، فيلسوف وعالم، تتلمذ في أكاديمية الإليسيوم على تلاميذ أفلاطون وأرسطو. بدأ بتجاربه ومشاهداته في حديقة الإليسيوم حتى أصبح مرجعاً في نباتات مناطق اليونان وآسيا الصغرى. وخلال عمله في مدرسة الإسكندرية

وبين تلاميذه المعجبين به تمكن من التعرف على كثير من النباتات التي أُحضرت من أواسط آسيا وفرزها.

كتب ثيوفراستوس العديد من الكتب في شتى المعارف والعلوم، ويقدر عددها بمائتين وأربعين كتاباً، ومن هذه الكتب وصلنا كتابان حول علم النبات: الأول باسم دراسة في النباتات، وهو باللغة اليونانية، وتوجد منه عدة نسخ الآن، هذا الكتاب لم يترجم إلى العربية، وفي سنة 1916 م. طبع لأول مرة بلغته الأصلية مع ترجمة إلى الإنكليزية بإشراف الأستاذ: آرثر هورت، وهو من سلسلة مكتبة لوب الشهيرة.

1 ـ 2 ـ ديسقوريدس العين زربي:

ولد بقرية عين زربة القريبة من طرسوس (بسوريا) في منتصف القرن الأول الميلادي، ودرس الطب أولاً بالإسكندرية، ثم بمدينة أثينا، ثم عمل طبيباً جراحاً مع الجيش الروماني، وخلال عمله هذا زار العديد من المناطق والمدن، ومنها مدن الأناضول، وجمع منها عينات من النباتات والأعشاب، وكتابه مشهور باسم: علم الأدوية.

ترجم هذا الكتاب أولاً إلى اللغة السريانية، وفي القرن التاسع الميلادي ترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق باسم «كتاب الحشائش». كما تُرجم إلى اللاتينية فيما بعد باسم «المواد الطبية» وطبع سنة 1478 م. ومنها ترجم إلى العثمانية سنة 1770 م، ولكن ظهرت أخيراً طبعتان بلغته الأصلية اليونانية في السنتين 1906 م و1970 م، كما ترجم إلى الإنكليزية والألمانية عن نسخته الأصلية.

إن مُؤلَّف ديسقوريدس يتكون من خمسة كتب. ومجموع النباتات التي يتناولها يربو عن ستمائة نوع من أنواع النبات مع شرح لخصائصها الطبية.

لقد أثر كتاب ديسقوريدس هذا في الطب الإسلامي تأثيراً كبيراً، وذلك بفضل ترجمته الجيّدة إلى اللغة العربية، ولا نبالغ إذا قلنا إن كل الذين ألّفوا في المفردات الطبية قد اعتبروا هذا الكتاب العمود الفقري لمؤلفاتهم ومعلوماتهم وخبراتهم.

1 ـ 3 ـ جالينوس البرجمي:

الطبيب المشهور بين الأطباء العرب، حتى غدا يضرب به المثل في الطب والحكمة والعلاج.

كانت دراسته الأولى بمدن برجما وإزمير والإسكندرية، ثم عمل طبيباً في قصور روما، وكتب ما يزيد عن خمسين كتاباً في الطب والعلاج، وقد تُرجمت كل كتبه إلى اللغة الفرنسية بشكل إجمالي بين السنوات 1852 و1856 م.

وما يهمنا من كل كتبه الآن هو كتاب «الأدوية المفردة» الذي ترجمه حُنين بن إسحاق إلى العربية سنة 840 م.

وظهرت أولى طبعات هذا الكتاب باللاتينية سنة 1490 م، وباليونانية سنة 1525 م، ويجمع هذا الكتاب خصائص خمسمائة نوع من أنواع النباتات وشرح استعمالاتها في الطب، ويعتبر من أهم الكتب التي اعتمد عليها الأطباء العرب الذين ألَّفوا في هذا العلم.

1 ـ 4 ـ أورِيباسيوس:

عالم يوناني ولد بمدينة برجما بالأناضول سنة 325 م. ثم عمل طبيباً لإمبراطور روما جوليانوس. وترك أيضاً لنا هذا العالم موسوعة طبية كُتبت سنة 390 م باللغة اليونانية، وتتكون من سبعين مقالة، وقد امتدح العلماء والأطباء عمله هذا وعدوه عملاً علمياً مفيداً جداً.

ونجد مجلداً خاصاً بالأدوية المفردة ضمن موسوعة أورِيباسيوس هذه. ولقد استفاد الأطباء العرب من هذا المجلد استفادة كبيرة، كما نقل منه من ألَّف منهم في علم الأدوية المفردة. وتوجد إشارات إلى أن هذه الموسوعة قد ترجمت إلى العربية بواسطة حُنين بن إسحاق وتلميذه عيسى بن يحيى، ولكن للأسف لم يصلنا منها شيء. وقد طبع قسم منها بلغتها الأصلية اليونانية وبترجمة فرنسية في ستة مجلدات سنة 1876 م بباريس.

وهناك علماء آخرون من اليونان نذكر منهم:

ـ باولوس الإيجي (نسبة إلى منطقة إيجه) عاش سنة 640 م، وكتابه «الأدوية المفردة» عرَّبه حنين بن إسحاق.

ـ هارون القس الإسكندري، وكتابه «موسوعة في الطب» من ثلاثين مقالة عرَّبه ماسرجويه باسم «كناش في الطب».

2 ـ عصر الحضارة الإسلامية:

ـ ماسرجويه:

عاش بمدينة البصرة في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي. وكتابه باسم «التداوي والأدوية المفردة»، ولكنه لم يصلنا رغم وجود إشارات لبعض الأطباء المؤلفين العرب الذين استفادوا منه وأشاروا إليه، ومنهم ابن سينا والرازي.

ـ ابن بختيشوع:

عاش في عهد الخلافة العباسية وهو أول أعضاء هذه الأسرة التي اشتهرت فيما بعد لدى البلاط العباسي بالطب والحكمة. وقد عمل طبيباً حتى سنة 765 م بمستشفى جنديسابور ثم استدعاه الخليفة المنصور إلى بغداد وحضر معه اثنان من تلاميذه، وإلى جانب كونه طبيباً فقد كلفه الخليفة بتعريب كتب الطب المعروفة آنذاك.

وقد ترك لنا هذا الطبيب مؤلفاً باسم «الكنَّاش» في الأدوية المفردة، استفاد منه العديد ممن ألَّفوا في هذا الموضوع.

ـ ابن ماسويه:

كان من أطباء جنديسابور وعمل ببغداد رئيساً لمدرسة الترجمة ببيت الحكمة، ومن تلاميذه ممن تخرج من هذه المدرسة حُنين بن إسحاق الذي برع في فن الترجمة فيما بعد.

ولابن ماسويه كتب في الطب باللغتين العربية واليونانية، ونذكر هنا أنه هو

الطبيب الذي أحضر له الخليفة المعتصم بعض القرود لإجراء التشريح عليها فأضاف الكثير إلى علم التشريح في ذلك الوقت.

ومن مؤلفاته كتاب «دغل العين» وهو يبحث في أمراض العيون. وقد استفاد من كتبه في علم الأدوية المفردة العديد من المؤلفين الذين أتوا بعده.

ـ علي بن زين الطبري:

طبيب مسلم اشتهر في عصر الخليفة المتوكل (847 ـ 861 م) وهو أستاذ أبي بكر الرازي الطبيب المعروف بعدئذ.

وأشهر كتبه هو «فردوس الحكمة» الذي ضم بالإضافة إلى علم الطب علوماً أخرى مثل الفلك وعلم وظائف الأعضاء وعلم الحيوان والفلسفة وعلم النفس. هذا الكتاب يعتمد على كتب الطب الهندية واليونانية، وقد طبع بنصه الأصلي العربي سنة 1922 م، ببرلين.

لقد استفاد المؤلفون في موضوع الأدوية المفردة من كتاب فردوس الحكمة استفادة كبيرة ومن قسمه الخاص بهذا الموضوع بشكل خاص، ويشير له الرازي والغافقي كثيراً باسم علي بن زين أو باسم الطبري.

ـ حُنين بن إسحاق:

ولد بالحيرة واشتهر بجنديسابور وبغداد، وتوفي ببغداد، من أشهر أطباء زمانه، وكتب أكثر من مائة كتاب، كما قام بترجمة قرابة مائة وخمسين مؤلفاً إلى العربية، وتكمن شهرته في تعريب كتاب «المادة الطبية» لديسقوريدس وكتاب «الأدوية المفردة» لجالينوس، ووضع أسماء ومصطلحات بما يقابل اليونانية منها بالعربية والفارسية والسريانية، استمرّ استعمالها فيما بعد من قبل الأطباء والصيادلة بنفس المدلول الذي وضعه لها حنين بن إسحاق. وهو الذي وضع ملخصات لهذه الكتب المترجمة، وشروحاً لما ورد فيها وقد استفاد منه أعظم الفائدة المؤلفون في الأدوية المفردة فيما بعد.

- يحيى بن سيرابيون:

طبيب عربي عاش بمنطقة الشام في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي وله كتابان مشهوران الأول باسم «كناش»، ويضم اثنتي عشرة مقالة والثاني يضم سبع مقالات.

ترجم هذا الكتاب جيرار الكريموني إلى اللاتينية فيما بعد وطبع سنة 1479 م بمدينة البندقية، وقد استفاد كثير من المؤلفين في الأدوية المفردة بالرجوع والاقتباس من هذا الكتاب.

- إسحاق بن سليمان:

عاش هذا الطبيب في أواسط القرن العاشر الميلادي بمدينة تونس، وقد ولد بمصر ثم رحل إلى تونس لممارسة الطب، وتوفي بها، وكان طبيباً للخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي، وكتب العديد من الكتب بالعربية في موضوعي الطب والفلسفة، وقد ترجم كتبه من العربية إلى اللاتينية قسطنطين الإفريقي.

ومن كتبه المعروفة كتاب الحميات وكتاب البول وكتاب الاستقصات، ولكن كتابه «الأدوية المفردة والأغذية» أكسبه شهرة كبيرة، وكان عوناً للعديد من المؤلفين في هذا الموضوع.

- الكندي/ أبو يوسف يعقوب بن إسحاق:

ولد بمدينة الكوفة سنة 800 م، ودرس بالبصرة وبغداد، وكانت شهرته خلال عهد خلافة المأمون والمعتصم. وتوفي ببغداد سنة 873 م.

وكان يعرف بفيلسوف العرب، وهو أول الفلاسفة وأكبرهم في عصور الحضارة الإسلامية، وله كتب عديدة في كثير من المجالات العلمية. ومنها 25 كتاباً في الفلسفة، وتسعة في المنطق، وأحد عشر في الرياضيات، وثمانية في الأجرام السماوية، وثمانية في الموسيقى، و 24 كتاباً في علم التنجيم وتسعة في علم الفلك و 27 في علوم الهندسة، وفي الطب 24. والكيمياء 36 وغيرها... ولكن كل هذه

الكتب ضاعت الآن، ولم يبق إلا الإشارة إليها ومقاطع مقتبسة عنها، وما تبقى من كتبه لم تدرس ولم تحقق إلى الآن.

وفي سنة 1948 م. قام كارل جاربيرس بتحقيق كتاب «كيميا العطور وتقطيرها» وترجمته إلى اللغة الألمانية.

كما قام الأستاذ ليفي م. سنة 1966 بترجمة كتاب الأترباذين للكندي إلى الألمانية. ونعرف أن الكندي قد قام بتلخيص وشرح كتاب «الأدوية المفردة لجالينوس». وهذا عرض سريع لمساهمات الكندي في مجال الأدوية المفردة.

ـ ابن وحشية/ أبو بكر أحمد بن علي النباتي:

ولد بالعراق في سنة 820 م. وعرفت أسرته بالنباتي لتوارثها خبرة خصائص النبات. واشتهر في علم السيميا، وكتابه الشهير هو «الفلاحة النبطية» ويقول إنه استفاد من المصادر البابلية والسورية مما كتب قبل الهجرة. ولكن المستشرق العالم الروسي خنولسون أثبت بطلان هذا الكلام وعلى أي حال فإن كتابه كثيراً ما يشار إليه من قبل المؤلفين في موضوع الأدوية المفردة.

ـ الدينوري/ أبو حنيفة أحمد بن داود:

ولد بالعراق بقرية دينار، واكتسب شهرة في بلده وفي مدينة أصفهان. وهو مؤرخ موسوعي، وعالم في النبات وفلكي، وكان له مرصد بأصفهان.

وكتابه الأخبار الطوال يعد من كتب تاريخ إيران العام، وأما كتابه «كتاب النبات» فهو شهير ومهم، وهو موسوعة في علم النبات، ويقع في ستة مجلدات.

وحيث إن هذا الكتاب قد كتب قبل تعريب كتاب «المادة الطبية» لديسقوريدس لذا فإنه يعتبر كتاباً أصيلاً ورائداً في مجاله. وهذا الكتاب مفقود الآن ولكن لدينا تحقيق بواسطة علي بن حمزة. ونجد بعض المعلومات من هذا المؤلف وغيره في الكتب التي استقت منه.

واستطاعت الباحثة برونا سيلبر بيرج أن تجمع كل أجزاء كتاب النبات

للدينوري وحققته بالمقارنة مع عديد من الكتب الأخرى المشابهة وطبع سنة 1910 م.

كما قام الباحث محمد حميد الله بتحليل هذا الكتاب وشرحه وطبعه في مجلد واحد.

الرازي/ أبو بكر محمد بن زكريا:

ولد بمدينة الري سنة 865 م. واكتسب شهرة كبيرة ببغداد، وتوفي سنة 925 م. وهو من أشهر أطباء الإسلام وأكبرهم في العصور الوسطى قاطبة، وله مساهمات جيدة في علوم الطب والطبيعة والمنطق وما وراء الطبيعة والرياضيات والكيمياء والتصوف وآداب البحث.

وقد أعد البيروني رسالة حول ترجمة حياة الرازي وأهم أعماله وكتبه. أما ابن أبي أصيبعة فيذكر أن للرازي أكثر من 250 كتاباً ورسالة.

ولعل أشهر مؤلفات الرازي هو كتابه «الحاوي في الطب»، وما يتعلق من هذا الكتاب بموضوع التداوي يقع في عشرين قسماً. ويعتبر من العلماء الموسوعيين الذين قاموا بتلخيص العديد من أعمال أطباء اليونان.

وفي ميدان الطب قام بجمع مشاهداته في كتاب المنصوري، وله رسالة في الجدري والحصبة تعد من الأعمال العلمية الجيدة.

أما موضوع الأدوية المفردة فقد استفاد كثير من المتخصصين في هذا المجال من كتابه العملاق «الحاوي» الذي يضم بين دفتيه معلومات قيمة عملية حول علم الأدوية والأقرباذين.

ـ علي بن عباس:

ولد بمنطقة الأهواز بغرب إيران، ولمع نجمه في عهد الخليفة عضد الدولة، وتوفي سنة 994 م. ويعد من أكبر أطباء زمانه، ومن ألمع علماء الطب العربي بصفة عامة.

له موسوعة طبية باسم «كامل الصناعة»، وقد غيّر هذا العنوان فيما بعد من قبل الأطباء إلى «الكتاب الملكي» ويقال إنه أحسن الكتب الطبية التي دونت باللغة العربية. وتم طبع هذا الكتاب بالقاهرة في سنة 1294 هـ.

وفي سنة 1070 م. قام قسطنطين الإفريقي بترجمته إلى اللاتينية ونَسبهُ لنفسه، وفي سنة 1127 م ظهرت له ترجمة بواسطة ستيفن أنتيوى، ولكن لم تتسن طباعته إلا في سنة 1523 م.

ويقال إن كتاب كامل الصناعة هو أكثر تنظيماً من كتاب الحاوي للرازي، كما أنه أكثر عملياً من كتاب القانون لابن سينا.

وكتاب كامل الصناعة يحتوي على عشرين قسماً، ومن أهم أقسامه قسم الغذاء والأدوية المفردة. وقد استفاد كثير من علماء المسلمين في العصور الوسطى من هذا الكتاب وأشاروا إليه في مؤلفاتهم إشارات عديدة تدل على أنه مرجع مهم لديهم.

ـ التميمي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد المقدسي:

طبيب عربي ولد بالقدس، وفي سنة 970 م رحل إلى مصر وعمل طبيباً لوزير الخليفة الفاطمي يعقوب بن كلس. وله عدة مساهمات في ميدان التداوي الطبي، وكتابه حول الأدوية المفردة سماه «كتاب المرشد إلى جواهر الأغذية والقوى المفردة». فيورد هذا الكتاب معلومات مفيدة حول النباتات الطبية والمعادن وفي مجال علم الأدوية بصفة عامة.

ولم يتبق من هذا الكتاب القيم إلا بعض الأجزاء، وقد قام الباحث المستشرق الفرنسي ليكلير بتحقيقه ونشره سنة 876 م. وهناك العديد ممن استفاد ونقل عن الكتاب في قسميه الأغذية والأدوية المفردة.

ـ ابن الجزار/ أبو جعفر أحمد:

هو الطبيب المسلم التونسي وكان من أشهر تلامذة الطبيب إسحاق بن

عمران. عمل بالطب في تونس وبها اشتهر وذاع صيته وتوفي بها عن عمر يناهز الثمانين سنة 1009 م.

كتب ابن الجزار ما يربو عن 25 مؤلفاً في الطب، منها «كتاب الاعتماد»، و «كتاب ابدال العقاقير» من أشهرها. وتحتوي كتبه على عديد من الوصفات الطبية من الأدوية المفردة التي استقى منها ونقل عنها العديد من المؤلفين في هذا المجال.

ـ ابن جلجل/ أبو داود سليمان بن حسن:

من أمويّي الأندلس، عمل طبيباً للخليفة هشام الثاني. وقد ترك لنا مؤلفاً مشهوراً في تراجم حياة الأطباء وحكماء عصره باسم «تاريخ الأطباء والفلاسفة»، وقد استفاد ابن أبي أصيبعة منه في كتابه الشهير «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» الذي دونه في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي. ومن مؤلفات ابن جلجل أيضاً «شرح كتاب ديسقوريدس» وذلك في سنة 982 م. وسماه «التعريف بأسماء الأدوية الواردة في كتاب ديسقوريدس». وقد كتب هذا الكتاب في الدرجة الأولى للتعريف بالأدوية المفردة، كما كتب رسالة في الأدوية المفردة المستعملة في وقته والتي غفل عن ذكرها ديسقوريدس، وأمدنا بقائمة بما أهمله كتاب ديسقوريدس. وهذان الكتابان أصبحا مرجعين مهمين للكثير من الباحثين في علم الأدوية فيمابعد.

ـ أبو القاسم الزهراوي:

الطبيب المسلم الشهير، ولد بقصبة الزهراء قرب قرطبة، وعاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي بمدينة قرطبة، وبها اشتهر وعاش حتى توفي، عمل طبيباً للخليفة الحكم الثاني حيث كان من أكبر جراحي عصره. وله كتاب عظيم في الطب يتكون من ثلاثين جزءاً سماه «التصريف لمن عجز عن التأليف» كان اليد اليمنى للجراحين.

وقد تُرجم كتاب التصريف إلى اللاتينية والعبرية والفرنسية والإنجليزية. وفي

القسم السابع والعشرين منه يتحدث عن الأدوية المفردة ويرتبها حسب الحروف الأبجدية.

وفي القسم الثامن والعشرين يتحدث عن تحضير الأدوية. أمّا في القسم التاسع والعشرين فيورد مرادفات لأسماء الأدوية والأسماء البديلة لما هو متداول لدينا. وهذه الأقسام الثلاثة تعتبر من المراجع للباحثين في موضوع الأدوية المفردة من الأطباء المسلمين وغيرهم.

ـ ابن سينا/ أبو علي الحسين بن عبد الله:

ويعرف في العالم الإسلامي باسم الشيخ الرئيس، وهو أحد ثلاثة يعدون من أعظم أطباء الإسلام، وهم ابن سينا والرازي وعلي بن العباس.

وهنا سنقتصر في حديثنا على كتابه الأدوية المفردة وموسوعته الشهيرة (القانون في الطب) وتوجد منه كثير من النسخ الخطية، وقد طبع بالقاهرة بمطبعة بولاق سنة 1877 م. ولكن له العديد من الطبعات باللغة اللاتينية منذ سنة 1473 م.

لقد خصص ابن سينا الكتاب الثاني من موسوعته هذه للأدوية المفردة، وفيها ذكر مجموع 785 مادة نباتية وحيوانية ومعدنية وشرح مواقع استعمالاتها في الطب. هذه النباتات الطبية التي تناولها هي في الحقيقة كانت متداولة ومعروفة في زمانه، ولكنه أضاف إلى ذلك خبرات من سبقه وخبرته هو حول هذه النباتات.

أما الكتاب الخامس فقد أفرده لموضوع الأقرباذين أي دستور الأدوية حيث ذكر العديد من الأدوية المركبة حسب ترتيب الحروف الأبجدية.

وقد كان الكتاب الثاني من القانون مصدراً لكثير من الباحثين في موضوع الأدوية المفردة.

ـ البيروني/ أبو الريحان محمد بن أحمد:

ولد بمنطقة غرب خوارزم وتربى بأحد قصورها ثم عمل بإمارة إيران ثم بعد ذلك في قصور الغزنويين.

للبيروني العديد من المؤلفات في مختلف العلوم ومنها الفلك والرياضيات والطبيعة والجغرافيا والصيدلة وعلم الأجناس والفلسفة وتاريخ الأديان. ويعتقد أن له قرابة 180 كتاباً ورسالة بقي منها إلى يومنا هذا 27 فقط، ولكن لم يترجم منها أي شيء في العصور الوسطى، وما يهمنا في بحثنا هذا هو كتابه «كتاب الصيدلة» فقط.

لقد عُثر على هذا الكتاب في مدينة بورصة التركية بمكتبة كورشونلي، وقام بتقديمه للباحثين والعلماء الأستاذ زكي وليد طوغان، ومما يؤسف له أن هذه النسخة غير تامة وهي باللغة الفارسية. كما عُثر على ثلاث نسخ أخرى لهذا الكتاب في مكتبات المتحف البريطاني ومكتبة مانيسا بالأناضول ومكتبة المجلسي بإيران.

ولكن نسخة مكتبة بورصة كان قد نسخها تلميذ البيروني المسمى شيخ أبو حميد، وهي مسوّدة الكتاب الأصلي. وقد قام البيروني نفسه بمراجعتها وتصحيحها. وقام الطبيب غضنفر التبريزي وهو طبيب من مدينة قونية بإتمامها. ولهذا الكتاب مقدمة من خمسة أقسام، ويحتوي القسم الأصلي على 181 مادة طبية من الأدوية المفردة.

لقد ذكر البيروني أسماء النباتات باللغات العربية والفارسية واليونانية والسريانية والسنسكريتية، وأحياناً يضيف ما يقابلها باللغتين الهندية والتركية.

- ابن جزلة/ أبو علي يحيى بن عيسى:

طبيب بغدادي مشهور، أسلم سنة 1074 م. وتوفي ببغداد سنة 1100 م. لقد ترك لنا ابن جزلة كتاباً مهماً في الطب سماه «منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان» وقدمه للخليفة المقتدي، ولذا يسمى أحياناً «كتاب المقتدي» أو منهاج البيان، ولهذا الكتاب موجز باسم «تقويم الأبدان في تدبير الإنسان».

وفي القسم الأخير من هذا الكتاب يورد المؤلف مجموع 352 مرضاً موزعة على ثمان في كل صفحة على هيئة جداول في 44 صفحة. وقد قام بعمل مشابه لهذه الجداول الطبيب ابن بطلان وذلك في كتابه: تقويم الصحة.

لقد كان لكتاب منهاج البيان مكانة مرموقة بين كتب الطب العربي الأخرى، كما كان مرجعاً أساسياً للمؤلفين في موضوع الأدوية المفردة.

ـ ابن وافد/ أبو المطرِّف عبد الرحمن بن محمد اللَّخمي:

الطبيب المسلم الأندلسي من الأسر العربية المعروفة بها. عاش بمدينة (توليدو) ما بين السنوات 998 ـ 1074 م. وأصبح وزير الخليفة ذو النون بتوليدو وعمل بمستشفاها.

من تآليفه كتاب «الأدوية المفردة»، اعتمد في تأليفه على معلومات استقاها من جالينوس وديسقوريدس، وأضاف إلى ذلك تجاربه وخبرته الخاصة، ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية كما طبع أول طبعة سنة 1549 م. وتلا ذلك عدة طبعات.

نجد إشارات كثيرة لهذا الكتاب من قبل المؤلفين الأطباء المسلمين حول الأدوية المفردة.

ـ الإدريسي/ الشريف أبو عبد الله 1100 ـ 1166 م:

كثيراً ما يطلق عليه القرطبي لأنه أتم تحصيله بمدينة قرطبة الأندلسية. له رحلات كثيرة، وقد قضى نصيباً كبيراً من أواخر حياته في صقلية لدى بلاط روجر الثاني، ولذا يطلق عليه أيضاً الصقلي نسبة إلى هذه المدينة، وقام بتقديم «كتاب روجر» هدية لملكها هذا، كما قام بإهداء «كتاب الممالك والمسالك» إلى الملك ويليم.

أما في موضوع الأدوية المفردة فقد ترك لنا كتاب «الجامع»، ولكن الكتاب الأصلي له يعتبر مفقوداً، وقد اكتشف المستشرق هلموت بيتر قسماً منه في مكتبة محمد الفاتح باستانبول. ويشير ابن البيطار إشارات عديدة لهذا الكتاب حيث استفاد منه، كما اعتمد عليه العديد من المؤلفين في الأدوية المفردة.

ـ الغافقي/ أبو جعفر أحمد بن سيد:

ولد بقصبة غافق قرب مدينة قرطبة بالأندلس وتوفي سنة 1164 م. ويعتبر

الغافقي من أكبر علماء النبات في عصره. وله رحلة إلى شمال إفريقيا لأجل البحث ودراسة النباتات، وأصبح عالماً متبحراً في نباتات هذه المنطقة وحشائشها ولذا يُعد من علماء الأندلس المميزين في موضوع النباتات وخصائصها.

ومؤلفه الشهير «كتاب الأدوية المفردة» خصصه لدراسة بعض النباتات ومواد العلاج الأولية، وهو من أهم كتب الطب العربي في هذا الموضوع. وعندما قام الطبيب ابن البيطار بسياحته النباتية صحب معه ثلاثة كتب في النباتات هي كتب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي.

لقد أثبت الغافقي أنه أكثر تجربة وخبرة من معاصريه في هذا المجال. كما أنه لم يكتف بما أورده ديسقوريدس وجالينوس من أدوية مفردة بل أضاف إليها ما اكتشفه بعدهما من هذه المواد والأدوية الطبية. كان يجمع هذه المواد بكل دقة وعناية، وهكذا قدّم لنا موسوعته بشكل علمي جيد. هذا الكتاب لم يصل لنا، ولكن بقي ملخصه في بعض المكتبات، كما عثر الأستاذ عوض على القسم الأول منه بمكتبة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وقام بنشره والتعريف به.

ـ ابن الرومية/ أبو العباس النباتي الحافظ:

من علماء الأندلس ينحدر من أصول أموية. ولد بمدينة إشبيلية سنة 1170 م ويعتبر من أكبر العلماء النباتيين العرب. وتوفي بإشبيلية احتمالاً سنة 1239 م، وعمل كل حياته في التعامل مع النبات وفرزه وتصنيفه، وقد قام برحلات كثيرة داخل الأندلس وإسبانيا بغرض التعرف على نباتات جديدة.

وفي سنة 1217 م قام برحلات إلى شمال إفريقيا وبقي بمصر مدة طويلة يدرس النباتات، وفي الإسكندرية قابل السلطان الأيوبي العادل سيف الدين الذي دعاه لزيارته بالقاهرة.

وهناك قدم له الهدايا الثمينة ووعده بمكافأة جارية إذا بقي بمصر. ولكن ابن الرومية رفض وقال إن الغرض من سياحته هو التعرف على النباتات وأداء فريضة الحج.

وبعد أن مكث بالقاهرة مدة وجمع من النباتات ما حضّر به «الترياق» الذي قدمه للسلطان ثم توجه للحجاز. وبعد أداء فريضة الحج زار فلسطين وسوريا والعراق وشمال إيران تعرف فيها على النباتات النادرة والغريبة، ودرس وتدارس مع علماء النبات في كل مكان حلّ به ثم عاد إلى مسقط رأسه بالأندلس.

وكتابه الشهير «كتاب الرحلة» يصف فيه رحلاته ومشاهداته. هذا الكتاب قد فقد ربما خلال محنة الأندلس، ولكن تلميذه ابن البيطار ما ينفك يشير له ويقتبس منه في العديد من مواضع كتابه. ويضيف ابن البيطار بأن ابن الرومية قد تعرف على هذا أو ذاك النبات وأنه زرعه وشاهد نبتته ودرسه وعرف أنواعه وفوائده وطرق استعمالاته في الطب.

وقد قام ابن الرومية بترجمة كتاب النباتات لديسقوريدس وقام بوصف وتعريف كل مادة فيه. كما أنه ألّف كتاباً باسم «الأدوية المركبة» ومن هذه المؤلفات استفاد العلماء والمؤلفون أيما استفادة في هذا الموضوع.

ـ ابن العوّام/ أبو زكريا يحيي بن محمد الإشبيلي:

عالم مسلم أندلسي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي بمدينة إشبيلية، وتوفي بها سنة 1200 م.

لقد ترك لنا ابن العوام كتاباً مهماً في علوم الزراعة وهو «كتاب الفلاحة النبطية» وهو من 34 قسماً خصص الثلاثين قسماً الأولى لدراسة النباتات والأربعة الأخرى لدراسة الحيوانات، وقد قدم المستشرق (ماير) ملخصاً لهذا الكتاب باسم «تاريخ علم النبات»، وتوجد منه نسخة بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا، وترجم إلى الفرنسية سنة 1802 م، استعان ابن البيطار وغيره من علماء النبات بمقاطع عديدة من كتاب ابن العوّام.

ـ ابن السوري/ أبو منصور بن أبي فضل:

من مشاهير علماء النبات المسلمين، عاش في القرن الثالث عشر الميلادي.

ولد بمدينة سار بسوريا سنة 1177 م، درس الطب بدمشق وفي عهد الخليفة عبد اللطيف عمل بمستشفى القدس، ثم عمل بدمشق في عهد الخليفة الأيـوبي السلطان المعظم (1218 ـ 1227 م)، ثم عمل رئيس أطباء لخليفة السلطان المعظم السلطان الناصر، وتوفي بدمشق سنة 1242 م.

قام ابن السوري برحلات كثيرة فيما جاوره من مناطق وكذلك إلى المشرق القريب للتعرف على نباتات هذه المناطق، وكان خلال رحلاته هذه يصطحب معه رساماً يرسم له شكل النبات وهو طري أخضر ثم وهو أغصان جافة. وقام بتقديم كتابه «كتاب الأدوية المفردة» للسلطان المعظم، ويحتوي هذا الكتاب على ما أورده ديسقوريدس بالإضافة إلى آراء من تلاه من مؤلفين وعلماء نباتيين.

لقد فقد هذا الكتاب ولم تصلنا أي نسخة منه، واستفاد منه واقتبس عنه بعض العلماء ممن عاصره، ولكن ابن البيطار لم يذكر شيئاً عن ابن السوري.

ـ ابن البيطار/ أبو محمد عبد الله بن أحمد ضياء الدين:

ولد بمدينة مالقة سنة 1197 م. من أشهر علماء الأندلس وأحد تلامذة ابن الرومية وكانا يترافقان في رحلات حول إشبيلية لجمع النباتات. وفي سنة 1219 م غادر الأندلس ومر من شمال إفريقيا ثم إلى إيطاليا واليونان والأناضول ثم وصل إلى مصر وعمل في خدمة السلطان الأيوبي الكامل رئيساً على كامل العشابين، وبعد وفاة السلطان الكامل ذهب إلى دمشق وخدم السلطان الصالح بها.

قام بعدة رحلات إلى سوريا والحجاز وفلسطين وشرقاً إلى الموصل حيث جمع النباتات ودرسها.

وجمع ابن البيطار نتائج دراساته ومشاهداته في كتابين، الأول باسم «كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» ويعرف أيضاً باسم «بيطار نامه» وقد استفاد ابن البيطار من أكثر من مائة وخمسين عالم نباتٍ ممن سبقه، ومن هؤلاء عشرون من اليونانيين والباقي من علماء الإسلام في هذا المجال. وقد استفاد ابن البيطار بالدرجة الأولى من كتاب الإدريسي والغافقي، وفي كتابه هذا فإن مجموع المواد

الطبية والنباتية التي يتناولها يربو عن ألف وأربعمائة (1400) نبات، ومن هذه قرابة ثلاثمائة نبتة جديدة تستعمل في الطب والعلاج، ولكن أعظم ما في موسوعته هذه أنه يذكر اسم العقار بالعربية ثم يورد ما يقابله باللاتينية والفارسية والبربرية والإسبانية.

ولقد عثر على عدة نسخ من كتاب ابن البيطار موزعة في بعض مكتبات العالم. وفي سنة 1874 م. ظهرت الطبعة الأولى لكتابه هذا بمطبعة بولاق بالقاهرة وهي في أربعة مجلدات.

كما ترجم هذا الكتاب إلى الألمانية سنة 1840 م أشرف عليه المستشرق الألماني هونتيمر. وفي سنة 1877 م ترجمه المستشرق الفرنسي ليكلير إلى الفرنسية، كما ترجمه إلى التركية الأستاذ عمر ايدين اغلو.

والكتاب الثاني لابن البيطار هو «كتاب المغني في الأدوية المفردة»، وهو عبارة عن ترتيب للأدوية المفردة المستعملة لعلاج الإنسان مرتبة حسب تأثيرها على الجسم، ويظهر أن ابن البيطار قد تأثر بالتصنيف الذي قدمه ابن جزلة في كتابه «المنهاج» حيث اتبع نفس المنهج في أسلوب تقديم هذه المواد. هذا الكتاب لم يحقق أو ينشر أو يترجم إلى الآن.

ـ ابن رسول/ الملك الأفضل العباس بن علي:

عاش في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، وهو سلطان اليمن وابن المجاهد علي الخامس وحكم اليمن في الفترة ما بين 1362 إلى 1376 م. وقد رُبِّي تربية علمية منذ طفولته وكانت أسرته تتوارث خبرة النباتات الطبية والتداوي بها أباً عن جد.

واستمر ابن رسول في الاهتمام بعلم النبات، دراسة الأعشاب وحشائش اليمن والجزيرة وقد ترك لنا كتاباً هاماً سماه: «بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين».

يحتوي هذا الكتاب على سبعة عشر باباً، وقد استفاد منه ونقل عنه وأشار له

بعض الباحثين نذكر منهم كاسيونس بابسوس وابن وحشية.

وفي كتاب بغية الفلاحين يتحدث ابن رسول عن الأعشاب والنباتات الطبية التي تنمو أو تزرع باليمن ويبين طرق استعمالها في العلاج. ويقول المؤلف إن هذه المعلومات قد تعلمها من أسرته ومن عامة الناس وكذلك من المخطوطات والأوراق التي لدى أسرته. وهو يسمي هذا الكتاب «كتاب المعتمد» حيث يقدم لنا معلومات عن الأدوية المفردة مرتبة حسب حروف المعجم مع مرادفاتها بالعربية والدارجة اليمنية.

هذا الكتاب لم ينشر إلى الآن وهو موجود بمكتبة القاهرة، في مجلد ضخم يقدر عدد أسطره بستمائة سطر.

ـ أبو الفرج/ ابن الموسوي:

ولد بمدينة ملاطية سنة 1224 م وكتب باللغة السريانية، وتوفي سنة 1286 م، ويتضح أنه بعد دراسة الطب تفرغ لعلم اللاهوت وأصبح راهباً بمدينته وتعمق بالعلوم الطبية وعلوم النباتات بصفة خاصة.

لقد درس أبو الفرج نباتات المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط وبحر قزوين حتى أصبح مرجعاً فيها. وله رسائل ومخطوطات في الفلسفة والتاريخ والطب، ولكن أشهر أعماله هو كتاب «التقويم السرياني»، وقد قام بنفسه بترجمته إلى العربية. كما قام بترجمة العديد من كتب ابن سينا إلى اللغة السريانية وقدم شروحاً لعدد من الرسائل الطبية العربية.

ولأبي الفرج بعض الملخصات ومنها تلخيص لكتاب ديسقوريدس «المادة الطبية» وكتاب الغافقي «الأدوية المفردة».

وقد استفاد كثيرون من هذه المؤلفات فاستخدموها مصادر ومراجع.

ـ الأنطاكي/ داود بن عمر الضرير:

من العلماء المسلمين المميزين، عاش خلال عهد الدولة العثمانية وعاصر

سليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث.

ولد الأنطاكي سنة 1541 م بمدينة أنطاكية، وإليها يُنسب، وبها نشأ ودرس واشتهر، وتوفي بمكة سنة 1599 م.

حكيم شاعر وطبيب ورغم كفاف بصره فقد نبغ في هذه العلوم فضلاً عن علوم الطبيعة والفلك ولذا يطلق عليه اسم «أعجوبة الدهر».

له سياحات ورحلات عديدة، وخلال زيارته للقاهرة تردد عليه المرضى وقام بتقديم الوصفات والعلاج لهم، كما حضر مجالس وحلقات العلماء والفقهاء بها.

لقد ترك لنا العلامة داود الأنطاكي موسوعة مهمة في علم النبات الطبي وهو «تذكرة أولي الألباب والجامع لعجب العجاب» ويطلق عليه للاختصار «تذكرة داود».

يحتوي هذا الكتاب على معلومات حول الأدوية مرتبة حسب حروف المعجم مع شرحها وذكر مرادفاتها واستعمالاتها في الطب.

ويظهر أنه اتخذ من كتاب ابن البيطار «الجامع» نموذجاً لعمله من حيث التصنيف والشرح، وأضاف كثيراً من تجاربه وخبرته حول كل مادة من المواد المذكورة. ومجموع الأدوية التي تناولها هو 1712 دواءً طبياً.

لقد تم طبع تذكرة داود بالقاهرة سبع مرات، وذلك منذ سنة 1838 إلى الآن، ولهذا الكتاب شهرة كبيرة ليس بين الأطباء والصيادلة فحسب بل حتى بين العطارين والعشابين وممارسي الطب الشعبي وكثير من المثقفين ممن يودون التزود بمعلومات عامة ومفيدة حول النباتات الطبية وآثارها على الجسم.

خاتمـــة:

نرى مما سبق أنَّ ثلاثة من كبار الأطباء المسلمين قد أثَّروا تأثيراً مباشراً في تطور علم الأدوية المفردة وهم ابن سينا والرازي وابن عيسى، وأن هناك غيرهم

ممن ساهم مساهمة فعالة في هذا المجال وهم الدينوري وابن الرومية والإدريسي والسوري وابن البيطار والأنطاكي وغيرهم ممن تركوا مؤلفات قيمة في مجال علم الأدوية المفردة بشكل خاص.

لقد كان لهذه المؤلفات تأثيرات كبيرة على الأطباء المسلمين وأطباء الغرب فيما بعد وتعتبر لبنة الأساس فيما ظهر بعدئذ من علم الأدوية والصيدلة الحديثة والقفزات المهمة في العصور الحديثة.